الفصل والوصل وأثره في الاتساق النصي في القرآن الكريم

أ.د. عماد عبد يحيى قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل
أ.م.د. عبد الله خليف خضير الحياني قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل
abdullah.khalif.k@uomosul.edu.iq

الملخص

يهدف البحث إلى إبراز دور الفصل والوصل في الاتساق النصي وأثره في بناء النص وتماسكه، فالفصل والفصل له دور كبير في عملية الاتساق النصي؛ ذلك أنّه يعمل بأساليب لفظية لها دورها في تغير الدلالة وتوجه النص، ومع أنّه يعمل على البنية السطحية للنص إلاّ أنّ دوره كبير جدا في بناء النص دلاليا في بنيته العميقة من خلال إعادة تشكيل النص على وفق بنيته الشكلية بما ينسجم مع دلالته وفحواه، وكان القرآن الكريم ميدانا رحبا للكشف عن دور الفصل والوصل في اتساق النص وتماسكه لما حمله من بنى ودلالات كان للسياق والبنية اللفظية دور كبير في فهمها وتفسيرها.

الكلمات المفتاحية: الاتساق النصي، الفصل والوصل، التماسك، النص

Separation and connection and its effect on textual consistency in the Holy Qur'an

Assistant Professor Professor Dr. Imad Abdel Yahya
Dr. Abdullah Khalif Khudair Al-Hayani Experienced professor
Department of Arabic Language Department of Arabic Language

College of Arts, University of Mosul College of Arts, University of Mosul

Abstract

The research aims to highlight the role of separation and connection in textual coherence and its impact on text structure and cohesion. Separation and separation have a major role in the process of textual consistency. This is because he works using verbal methods that have a role in changing the meaning and direction of the text, and although he works on the surface structure of the text, his role is very large in constructing the text semantically in its deep structure by reshaping the text according to its formal structure in a way that is consistent with its meaning and content. The Holy Qur'an was a spacious field for revealing the role of separation and connection in the coherence and cohesion of the text because of the structures and connotations it carried, and the context and verbal structure had a major role in understanding and interpreting them.

Keywords: textual coherence, separation and connection, cohesion, text

الاتساق من اللغة إلى الاصطلاح:

قبل الخوض في فكرة الفصل والوصل وعلاقتها بالاتساق النصي لا بد لنا من عرض الجذر اللغوي للاتساق واستعمال مشتقاته؛ لتحديد العلاقة اللغوية بينه وبين معناه الاصطلاحي ومدى اتفاقهما في المفهوم. ومن يمكن الاهتداء إلى علاقة الفصل والوصل بالاتساق، فللجذر (و.س.ق) في اللغة عدة معانٍ، إذ يدلّ على حَمْل الشيء (معجم مقاييس اللغة:631/2)، فوسقه يسقه جمعه وحمله، والوَسْقُ والوِسْقُ مِكْيَلَة معلومة وقيل: هو حمل بعير، والاتساق: الانتظام، ووَسّقْتُ الحنطة توسيقاً، أي جعلتها وَسْقاً وَسْقاً (لسان العرب: 102/5 – 104. والقاموس المحيط: 2/ 110، والمعجم

الوسيط:99/2.)، واتسق الشيء إذا اجتمع وانضم وانتظم، ووسقت الشيء جمعته. والوسيقة الابل المجموعة كالرفقة من الناس، والاتساق الاجتماع والاطراد (المفردات في غريب القرآن/538)؛ لذا عدّ الزمخشري الاتساق بمعنى الانتظام من المعاني المجازية إذ يقول: «ومن المجاز: اتّسق القمر. واتسق أمره واستوسق. وطرد الحمار وسيقته وهي عانته. وهو لا يواسق فلاناً: لا يعادله، وأصل المواسقة: المحاملة» (أساس البلاغة /821)، والوُسوق ما دخل فيه الليل وما ضم وقد وَسَقَ الليلُ واتَّسَقَ وكلّ ما انضم فقد اتَّسَق والطريق يأتَسِقُ ويَتَّسق أَي ينضم، واتَّسَق القمر استوى قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ (16) وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ (18)﴾ (الانشقاق 16-18) أي وما جمع من الجبال والبحار والأشجار كأنّه جمعها بأَن طلع عليها كلِّها فإذا جَلَّلَ الليلُ الجبال والأَشجار والبحار والأَرض فاجتمعت له فقد وَسَقَها، ووَسَقْت الشيءَ جمعته وحملته والوَسْق ضم الشيء إلى الشيء (لسان العرب: 103/5)، ويرى الفراء: أنَّ (ما وسق) أَي وما جمع وضم. واتَّساقُ القمر امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة إلى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتِّسَاقه (معاني القرآن: 139/3). وقال السيوطي: «اتسق القمر إذا تم وامتلأ ليلة أربع عشرة، ووزن اتسق (افتعل)، وهو مشتق من الوسق، ويقال: اتسق استوى» (معترك الأقران:570/1).

وربّما كان الوسق في أول الأمر يطلق على المكيلة ثم أطلق مجازاً على المعاني الأخرى لذا عُدّ اتساق القمر مجازاً. غير أنّ ما يهمنا من هذه المعاني: (الانضمام، والانتظام، والاجتماع، والاطراد)؛ إذ إنّ دلالتها تقترب من معنى الاتساق في الاصطلاح.

كما هو حال الاتساق في المعنى المعجمي فإنّ له في الاصطلاح تعاريف ومفاهيم كثيرة، فيرى الباحث لقمان مصطفى سعيد أنّ دلالة

الاتساق هي الترابط والتجانس بين الوعاء اللفظي والمضمون المعنوي، بل تعرف الكلام بموضوعه، وتجيء به حيث ينبغي له، وتنظر في الحروف المكونة للمعنى، ثم ينفرد كلّ منها بخاصية في ذلك، فتضع كلا من ذلك في خاص معناه، فالاتساق بذلك يشير إلى التلاؤم بين اللفظ والمعنى، وأساسه الوحدة مع التعدد، تبعا لاجتماع عناصر مختلفة بحيث تكوّن وحدة مترابطة الأجزاء، متناسقة العناصر (الاتساق الدلالي في قصص القرآن الكريم/5).

ويرى د.عبد الجليل غزالة أنّ كلّ إبداع أدبي يجسد لحمة خطابية موحدة، في حين أنّ غيابها يقصي الاتساق ويدخل النص في دائرة العدم، أي وجود جمل مفككة ومبتورة، فيشترط الاتساق النصي على كلّ مقطع لغوي إيجاد كلّ موحد، تتوافر فيه خصائص معينة تعدّ سمة في النصوص ولا توجد في غيرها (الاتساق النصي، دراسة تطبيقية).

ويرى آخرون أنّ الاتساق هو ذلك الترابط الحاصل بين المفردات والجمل المشكلة للنص، وهذا الترابط يتأتى من خلال وسائل لغوية تصل بين العناصر المشكلة للنص، وهذه الوسائل اللغوية حققت الاتساق بنوعيه التركيبي والدلالي، فالاتساق التركيبي يتحقق بوسائل لغوية مثل الفصل والوصل، ويتحقق الاتساق الدلالي بالإحالة (الفرق بين الاتساق والانسجام).

أمّا أسامة عبدالعزيز جاب الله فيرى أنّ الاتساق هو ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويكون مناط العناية فيه منصباً على الوسائل اللغوية التي تربط بين هذه العناصر المكونة للنص مثل: الاحالة، والعطف، والضمائر، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، وغيرها من الوسائل، ويرى أنّ الاتساق إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى،

واستصحاب الرتب النحوية حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي، ورعاية الاختصاص والافتقار في تركيب الجمل (نظرات في مصطلحات اللسانيات).

أمّا ياسين سرايعة فقد استعمل مصطلح السبك بدلاً من الاتساق؛ وذلك لشيوعه في كتابات الأقدمين، وعرّفه بـ«العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى، ومن بين هذه الأدوات المرجعية» (مقاربة نحو النص في تحليل النصوص قراءة في وسائل السبك النصي/10)، فالسبك بذلك يُعنى بالعلاقات بين أجزاء الجملة والجمل والنص، ومن ثم يحيط السبك بالنص كاملاً داخلياً وخارجياً والسبك على نوعين:

1- المعجمي: ويتحقق بين المفردات أو الألفاظ عبر ظاهرتين لغويتين هما: (التكرار) و(التضام).

2- النحوي: يقتصر مجال نحو النص على الوسائل اللغوية المتحققة نصياً والعلاقات بينها؛ لأنّ توالي الجمل يشير إلى مجموعة من الحقائق وعلى نحو النص أن يكشف عن العلاقات المعنوية بين مجموع هذه الحقائق ذلك أنّ الربط بين الجمل عن طريق الأدوات يكون أكثر وضوحاً؛ لأنّها المصدر الوحيد لخاصية النص. ومن أشكال الترابط النحوي:

أ- الترابط الرصفي: وهو أقرب إلى ظاهر النص ويرتبط بالدلالة النحوية التي تعنى بكيفية انتفاع المتلقي بالأنماط والتتابعات الشكلية في استعمال المعرفة والمعنى ونقلهما وتذكرهما.

ب- التعريف: وهو وضع للعناصر الداخلية في عالم النص حين تكون وظيفة كلّ من هذه العناصر لا تحتمل الجدل في سياق الموقف، بمعنى أنّ

تحدد الوضع باسم علم أو بصفة معرفة، فالتعريف يمكن أن يشمل عنصراً من عناصر عالم النص في نطاق دلالي مربوط بمركز الضبط.

جـ- الاستبدال

د- الحذف (مقاربة نحو النص في تحليل النصوص قراءة في وسائل السبك النصي/11).

ويرى د.جميل عبد المجيد أنّ الصفة الأساسية القارة في النص هي صفة الاطراد أو الاستمرارية، وتعني التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنص، وبمعنى آخر أنّه في كلّ مرحلة من مراحل الخطاب نقاط اتصال بالسابقة عليها، وهذا الاستمرار يتجسد في سطح النص؛ إذ تتمثل في النص على مستواه السطحي، ونعني بسطح النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق. وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنّها لا تشكل نصاً إلاّ إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته، ويرى د.جميل أنّ السبك نوعان:

1- سبك معجمي

2- سبك نحوي (بلاغة النص، مدخل نظري ودراسة تطبيقية/ 15 - 17).

والاتساق صفة يتسم بها كلّ خطاب متجانس منظم الوحدات، سواء أكانت هذه الوحدات مفردات أم جملاً، وهو ما يعني أن تكون هذه الوحدات منظمة ومتجانسة اعتماداً على مجموعة من العلاقات أو الروابط الشكلية (الاتساق والانسجام).

يرى د.محمد خطابي أنّ الاتساق ليس اسماً آخر لبنية الخطاب؛ وذلك لأنّ هذا المفهوم الأخير يستعمل للإشارة إلى وحدة مقترحة أعلى من الجملة كالفقرة مثلاً، في حين يمثل مفهوم الاتساق العلاقات في الخطاب، فالوحدات تتعالق لتشكل نصاً، كلّ الوحدات النحوية: الجمل والأقوال والمركبات والكلمات متسقة داخلياً؛ لأنّها مبنية بيسر، إلاّ أنّ الاتساق يتوقف داخل نص ما على شيء آخر غير البنية، بمعنى أنّ هناك علاقات معينة إذا توافرت في نص ما، تجعل اجزاءه متآخذة مشكلة بذلك كلاً موحداً، تعدّ طبيعة هذه العلاقات دلالية، وهي خصائص تميز النص بوصفه وحدة دلالية (لسانيات النص/16).

من خلال كلّ ما تقدم يشير الاتساق إلى مجموعة من الإمكانيات التي تربط بين شيئين أو أكثر، وبما إنّ هذا الربط يتم من خلال علاقات معنوية؛ لذا فإنّ ما يعنينا هو العلاقات المعنوية التي تشتغل بهذه الطريقة، أي الوسائل الدلالية الموضوعة بهدف إبداع النص (لسانيات النص/16). فالاتساق يشمل العلاقات التي تصف التنظيم الداخلي للنص من خلال عدد من العلاقات التي تسوده؛ وعلى هذا فالاتساق لن يكون موجوداً في النص إلاّ إذا توافر على الآليات التي تجمع النص عموماً، ومن هذه الآليات مجموعة الروابط المنطقية، والروابط الطبيعية التي تنبع من طبيعة التركيب النحوي واللغوي للنص، وهي تدخل في صميم الاتساق ذلك أنّه يكون في خطية النص وتركيبه، والذي ينشؤه هو الكلمات المتراصفة بعضها إلى جانب بعض، ويأخذ بعضها برقاب بعضها الآخر (القرائن العلاقية وأثرها في الاتساق/15).

يميل الاتساق إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، التي تحدده بوصفه نصاً، ويمكن أن نطلق على هذه العلاقة (تبعية)، وبخاصة حين

يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه، ويبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر، إذ يفترض كلّ منهما الآخر مسبقاً فلا يمكن أن يحل الثاني إلاّ بالرجوع إلى الأول، وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة الاتساق ولا يتم الاتساق على المستوى الدلالي فحسب إنّما يتم في مستويات أخرى كالنحو والمعجم (لسانيات النص /15 ـ16)..

استعملنا مصطلح الاتساق النصي لتحديد الترابط المتين بين الاقسام اللغوية المكونة للخطاب القرآني، فالاتساق النصي يقوم على عدد من الوسائل اللفظية التي تربط بين العناصر اللغوية المكونة للخطاب المتلاحم (الاتساق النصي، دراسة تطبيقية). وأدوات الاتساق:(الاحالة، والحذف، والاستبدال، والفصل والوصل)

الفصل والوصل

تلقي ظاهرة الفصل والوصل بكاهلها على عاتق المرسل مسؤولية بيان المعنى المقصود من النص، فالقراءة الصحيحة والبليغة هي تلك القراءة التي تراعي مواضع الفصل والوصل؛ لذا فقد جاء عن بعضهم أنّه سئل عن البلاغة، فأجاب قائلا: معرفة الفصل من الوصل (البيان والتبيين:105/1). ولعل هذه المقولة شكلت منطلقا للجرجاني في رؤيته للفصل والوصل، إذ يقول في معرض حديثه عنها: «واعلمْ أنَّه ما من عِلْمٍ من علومِ البلاغةِ أنتَ تقولُ إنَه فيه خَفيٌّ غامضٌ ودقيقٌ صَعْبٌ إلاّ وعِلْمُ هذا البابِ أغمضُ وأخفى وأدقُّ وأصعبُ» (دلائل الاعجاز/176). فيرى الجرجاني أنّ ملاك البلاغة هو اتقان الفصل والوصل وأنّ من أتقنه سهل عليه امتلاك بقية الأبواب (لسانيات النص/97)؛ ولبيان أهمية هذه المظاهر يقول الجرجاني: «اعلمْ أنَّ

العلمَ بما ينبغي أن يُصْنَعَ في الجملِ من عطفِ بعضها على بعضٍ أو تركِ العطفِ فيها والمجيءَ بها منثورةً تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرارِ البلاغة وممّا لا يتأتَّى لتمامِ الصَّوابِ فيه إلاَّ الأعرابُ الخُلَّص وإلاّ قَوْمٌ طُبِعُوا على البلاغة وأوتوا فنَّاً مِنَ المعرفة في ذوقِ الكلامِ هم بها أفرادٌ. وقد بلغَ من قوة الأمر في ذلك أنَّهم جعلوهُ حَدّاً للبلاغة فقد جاء عَنْ بعضهم أنّه سُئِل عنها فقال: مَعْرِفَةُ الفَصلِ منَ الوصلِ ذاك لغموضِه ودقِة مَسْلكِه وأنَّه لا يَكْمُلُ لإحرازِ الفضيلة فيه أحدٌ إلاَّ كَمَلَ لسائِر معاني البلاغة» (دلائل الاعجاز/171). ولا يكاد يخلو باب من أبواب العربية إلاّ وفيه شيء من هذا المبحث، فالنحو العربي تناول حروف العطف ومعانيها، فضلا عن التوكيد والضمائر وأنواع الجمل وغير ذلك من الموضوعات التي تمت بصلة من قريب أو بعيد بالفصل والوصل.

أمّا الدراسات الحديثة فقد تناولت الفصل والوصل ضمن ظاهرة الاتساق وعدّته ظاهرة نصية، لها باعها في تحديد النص وبيان أهميته ولا سيما دوره في الترابط النصي. إذ يعدّ الفصل والوصل مظهراً مهماً من مظاهر الاتساق النصي، ويبدو أنّ هذه الأهمية تنبع من طبيعتهما التي تجعل منهما ملمحاً مهماً في ترابط النص واتساقه، والسؤال الذي يعرض نفسه إذا كان الوصل يسهم في ترابط النص واتساقه فكيف يؤدي أو يسهم الفصل في ذلك الاتساق؟ والجواب عن ذلك: إنّ الوصل يعمل في البنية السطحية (الظاهرة) للنص، ويتشكل تماسكه من خلال ذكر (الواو) أو غيرها، ويسهم ذلك في تمام المعنى المقصود من النص ووضوحه، فيعمل الوصل على الترابط الشكلي للنص. أمّا الفصل فيعمل على البنية العميقة (الباطنية) للنص، ويتشكل تماسكه من خلال حذف (الواو) وغيرها، أو من خلال ذكر فاصل يسهم في الفصل بين أجزاء النص، ويسهم ذلك في تمام المعنى

المقصود للنص ووضوحه، فلو ذكرت (الواو) وغيرها لولدت تفككا أو تغيراً في بنية النص العميقة والمتمثلة بالمعنى العام للنص؛ وبذلك يتأثر انسجام النص، فالحكم على نص ما بأنّه منسجم ينطلق من فهمنا له أو إمكانية تأويله؛ من هنا يمكن النظر إلى الفصل والوصل على أنّه العلم بالمواضع التي تقتضي العطف أو تركه عند عدم الحاجة إليه، فالفصل: قطع معنى عن معنى بأداة لغرض بلاغي، والوصل: ربط معنى بمعنى بأداة لغرض بلاغي، ولما كان الغرض البلاغي هو الفاصل الأساس في مسألة الفصل والوصل، وكان الغرض البلاغي تابعا للمعنى، كان هذا الأسلوب تابعا للمعنى الذي يريده المرسل (التعبير القرآني والدلالة النفسية/333)، فضلا عن ذلك ارتبط الفصل والوصل بالأداء والمعنى التداولي لما فيهما من إعانة على تحديد المعنى المطلوب ومن ثم انسجام النص.

وسائل الفصل والوصل وأثرها في اتساق النص

يتمّ الفصل والوصل بوساطة وسائل عدة، هي:

أ- حذف (الواو) وذكرها:

ربّما حذفت (الواو) من الجملة وذلك أن تكون الجملة واردة على تقدير سؤال يقتضيه الحال، أي: على طريق الاستئناف البياني؛ لذلك ترد الجملة مجردة من (الواو)، جواباً له، ومن ذلك قوله تعالى في قصة موسى (ع) مع فرعون: قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ

تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ (22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (28) ﴾ (الشعراء 16-28)

فهذه الآيات جاءت متصلة بعضها ببعض من غير (الواو)، على تقدير السؤال، وهذا من الاختصار العجيب اللائق بالتنزيل (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة/541)، فأدّى الحذف إلى اتصال الكلام بعضه ببعض اذ جاء على شكل حوار بين موسى (ع) وفرعون بدأ بـ(قال) فحذفت (الواو) في أول كلّ فعل، وشكل تكرار لفظة (قال) عنصراً بؤريا قام عليه النص وأصبح الدليل على المتكلم بتبدل مرجعية الضمير مرة تلو الأخرى فلو ذكرت (الواو) لتوهم المستمع ان القول كان من جهة واحدة وبذلك تختل عودة الضمير ما بين طرفي الحوار: فرعون وموسى (ع).

فحذفت (الواو) من أول كلّ قول، وهذا على تقدير سؤال مقدر: أي فماذا قال فرعون بعد أن ذكر موسى (ع) وهارون ما طلب منهما ربّهما فكان الجواب: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) ﴾، ثم يأتي سؤال آخر مقدر فماذا قال موسى (ع) فكان الجواب: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ (22) ﴾ ثم يأتي سؤال آخر فماذا قال فرعون فكان الجواب ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (16) ﴾، وهلمّ جرا إلى آخر الآيات التي أتت من غير (واو) فهذه الآيات جاءت

متصلة وإن فقدت الرابط الشكلي وهو (الواو) (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة/541)، وحافظت على اتساقها وانسجامها عبر الترابط الخفي الذي استعان بالحذف، فضلا عن ذلك جاءت قرائن لفظية تدل على مرجعية الضمائر في (قال) منها: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19)﴾: فجهة السؤال معلومة، إذ إنّ موسى (ع) رُبي في بيت فرعون ولبث فيهم سنين ثم قتل رجلا وعبر عن ذلك هنا بـ(فعلت فعلتك التي فعلت) لذا كانت مرجعية الضمير في (قال) على فرعون. وكذلك ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22)﴾ فمن المعلوم أنّ موسى (ع) فرّ لمّا علم أنّ القوم يأتمرون به ثم وهب له ربه حكما وجعله من المرسلين، ثم إنّ فرعون هو من عبّد بني إسرائيل؛ لذا كانت مرجعية الضمير في (قال) إلى موسى (ع). وهكذا في بقية الآيات، من هنا نجد أنّ الخطاب حافظ على ترابطه واتساقه بالاستعانة بوسائل لفظية وأخرى غير لفظية مفهومة من الخطاب.

ومن الجدير بالذكر أنّ حذف (الواو) قد لا يكون فصلاً فربّما كان وصلاً ويؤيد ذلك ما روي أنّ رجلاً مرّ بابي بكر الصديق (رض) ومعه ثوب. فقال أبو بكر (رض): أتبيع الثوب؟ فقال: لا عافاك الله. فقال أبو بكر (رض): لقد علمتم لو كنتم تعلمون قل: لا وعافاك الله (البيان والتبيين: 143/1). فحذف (الواو) أدّى إلى اتصال الكلام وتحوله من دعاء لابي بكر الصديق إلى دعاء عليه فيكون المعنى: (لا عافاك الله)، وهذا غير المقصود من النص، فالمرسل أراد بـ(لا) الجواب بالنفي عن سؤال أبي بكر له أن يبيعها له ثمّ بعد ذلك دعا

لأبي بكر، أمّا ذكر (الواو) فإنّه أدى إلى انفصال الكلام وهذا أدى إلى أن يكون الدعاء لا بي بكر لا عليه، ومما تقدم يمكن عد (الواو) أداة فصل ووصل في آن واحد، وعلى حسب ما يقتضيه السياق، وفي هذا المعنى يقول العلوي: «أمّا الفصل فهو في لسان علماء البيان، عبارة عن ترك (الواو) العاطفة بين الجملتين، وربّما أطلق على توسط (الواو) بين الجملتين، والأمر في ذلك قريب بعد الوقوف على حقيقة المعاني، لكن ما قلناه أصدق في اللقب من جهة أنّ الجملة الثانية منفصلة عما قبلها، فلا تحتاج إلى واصل هو (الواو)، فلأجل هذا كان ما ورد من غير (واو) بين الجملتين أحق بلقب الفصل» (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة/541). ومن هنا كان للفصل والوصل تأثير كبير في اتساق النص وانسجامه لما له من أثر كبير في تغيير المعنى أو مقصود الخطاب فضلاً عن ذلك تغير جهة الكلام.

فلا يمكن أن يدرك الفصل والوصل بوصفه مظهراً خطابياً إلاّ إذا أتقن المستعمل أصولاً ثلاثة يعتمد عليها العطف في باب البلاغة، وهي: الموضع الصالح للعطف، وفائدة العطف، ومقبولية العطف أو لا مقبوليته (مفتاح العلوم /459 - 460). فمعرفة الموضع الصالح للعطف: يقتضي من المستعمل التمييز بين نوعين من الإعراب:

- الإعراب الذي لا يتبع فيه الثاني الأول، ويكون في: (البدل، والوصف، والتأكيد، والبيان).

- الإعراب الذي يتبع فيه الثاني الأول.

أمّا فائدة العطف فتتحدد من معنى العطف وهو إشراك الثاني في حكمه، أمّا كونه مقبولاً أو مردوداً فيتحدد من وجود جهة جامعة بين المعطوف والمعطوف عليه. فإتقان الفصل والوصل يعتمد على إتقان هذه الأصول (لسانيات النص/111 - 112)؛ ولأهمية الفصل والوصل فإنّهما يسهمان في

اتساق النص وانسجامه فربما اقتضى الموقف الوصل في مواضع واقتضى الفصل في مواضع أخرى، فعلى سبيل المثال وقع في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)﴾ (البقرة 49)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (141)﴾ (الأعراف 141)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (6)﴾ (إبراهيم 6)، فوقع التماثل بين هذه الآيات في جوانب عدة، منها تكرار قوله تعالى: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، والمراد بـ(آل فرعون) هاهنا من كان من قوم فرعون وهم الذين عزموا على إهلاك بني إسرائيل فأنجاهم الله منهم بما تفضل به من الأحوال التي توجب بقاءهم وهلاك فرعون وقومه. وقوله تعالى: (يَسُومُونَكُمْ) أي يكلفونكم ويذيقونكم سوء العذاب أي أشد العذاب وأسوؤه، فهو من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً، وأصله من سام السلعة إذا طلبها، كأنّه بمعنى: (يبغونكم سوء العذاب ويريدونه بكم)، والسوء مصدر ساء بمعنى السيء، يقال: أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما، ومعنى سوء العذاب والعذاب كلّه سيء أشده وأصعبه كأن قبحه زاد فضلًا عن ساء (مفاتيح الغيب:63/3 ـ 64).

كما وقع التماثل في الجملة التذييلية ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ التي تكرر في نهاية كل آية من السور الثلاث وبذلك كان التكرار من مؤشرات التعالق النصي بين السور الثلاث، والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر فإن حُمل قوله ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وإن حُمل على الإنجاء كان من النعمة (لباب التأويل في معاني التنزيل: 89/1).

وشكّلت هذه الآيات توازياً تركيبياً اعتمد على بينة النص القرآني إذ توزعت هذه الآيات على امتداد ثلاث سور، فشكّل هذا التوازي بدوره رابطاً نصياً قائماً على أساس تركيبي ودلالي فضلاً عن اعتماده على التكرار

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

فوقع التماثل في بنية التركيب النحوي إذ بدأت الآيات بـ(إذ) وهي من مؤشرات الترابط المعنوي والتركيبي فهي تدل على المحذوف، فارتبطت (إذ) على المستوى التركيبي بـ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وجاء هذا الارتباط على المستوى الشكلي أو السطحي للنص من خلال ذكره كما في سورة إبراهيم، أو من خلال الارتباط المعنوي، فارتبطت (إذ) بمحذوف كما في سورتي البقرة والأعراف، فحافظت بذلك الآيات على البناء النحوي سواء باستعمال المستوى السطحي أو باستعمال المستوى المعنوي، ومع هذا التماثل والتداخل بين الآيات إلا إنّها لا تخلو من ميزات خاصة استأثرت بها كل آية عن غيرها، ومن ذلك الاختلاف في بنية الذكر

والحذف، إذ حذف الفعل العامل في (إذ) في سورتي البقرة والأعراف، وذكر في سورة إبراهيم:

.....وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ (البقرة)

..... وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ (الاعراف)

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ (ابراهيم)

فذكرت (الواو) التي يمكن عدّها هنا دليلا على المحذوف، إذ سبقت (إذ) التي حذف منها العامل، وهذه (الواو) قد تكون عاطفة؛ وبذلك ترتبط (إذ) بمحذوف يقدر اعتماداً على مذكور سابق يفسره، فيمثل المحذوف احالة على المذكور السابق ويمثل هذا المذكور العنصر الاشاري، كما في سورة البقرة فعطفت (إذ) على محذوف تقدره: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ومثّل هذا المحذوف عنصراً إحالياً أحال إلى العنصر الاشاري في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ (40)﴾ (البقرة 40)، أو أن تكون هذه (الواو) استئنافية، فوجب تقدير المحذوف الذي يمثل عنصراً اشارياً، ولمّا كان السياق تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم يكون التقدير: (اذكروا نعمة الله عليكم). أمّا في سورة إبراهيم، فارتبطت (الواو) بمذكور، وربّما كان السبب وراء الحذف أنّ الخطاب في سورة البقرة والأعراف من الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل أمّا في سورة إبراهيم فالخطاب من موسى (ع) إلى بني إسرائيل.

ولم يقف الاختلاف على مستوى الذكر والحذف فحسب وإنما تعداه إلى الصيغة، فاختلف الفعل في السور الثلاث (نجيناكم، انجيناكم، انجاكم)، كذلك اختلاف الضمير: (نجيناكم، انجيناكم) متكلم، (انجاكم) غيبة. وكذا

وقع الاختلاف في ذكر (الواو) قبل الفعلين: (يذبحون، يقتلون)، إذ ذكرت (الواو) في سورة إبراهيم، وحذفت في سورتي البقرة والأعراف.

ويرى المفسرون أنّ (الواو) حذفت في سورة البقرة؛ لأنّ قوله: (يذبحون) تفسير لقوله: (يسومونكم سوء العذاب)، وفي التفسير لا يحسن ذكر (الواو)، كما تقول: جاءني القوم زيد وعمرو، إذا أردت تفسير القوم (مفاتيح الغيب: 64/3 ـ 65)؛ وبذلك ترتبط (يذبحون) بـ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ارتباط التابع وعليه تقع علاقة فرعية بين (يذبحون) و(يسومونكم)، ويكون التوازي التركيبي توازيا ضمنيا داخل بنية الجملة الفعلية ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ إذ جاءت الجملتان ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ و﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ تفسيرا لنوع هذا العذاب فتفرع بين قتل الأولاد واستحياء النساء:

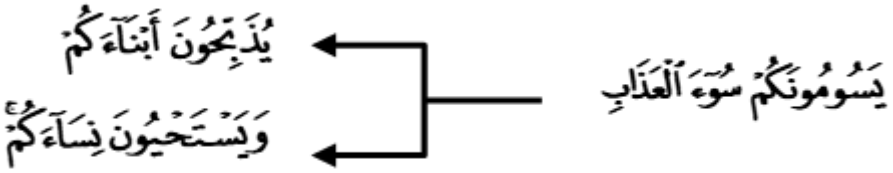

فتولدت علاقة تواز تركيبي بين جملة ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وجملة ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، وقام هذا التوازي على أساس تركيبي:

فعل مضارع + ون + كم + مفعول به + كم

ومن المؤشرات المهمة على التعالق النصي ذكر الضمير (كم)؛ إذ تكرر في كلّ متوالية:

يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ

فضلاً عن ذلك أنّ (الواو) ذكرت قبل جملة ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، لتضع جملة ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ في علاقة تقابلية مع جملة ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾؛ إذ ترتبطان بعلاقتهما بجملة: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، وكذلك وقعت جملة: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ في علاقة متوازنة مع جملة ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ لأدائهما الوظيفة النحوية نفسها، فوقعتا بدل جزء من جملة ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فجملة ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ جملة تفسيرية لا محل لها ولك أن تجعلها بدلا من جملة ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ وجملة الواو حرف عطف، و﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ عطف على ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ (الجدول في إعراب القرآن:124/1، وإعراب القرآن الكريم وبيانه: 100/1).

أمّا عند دخول (الواو) على ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ فتكون بذلك جملة ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾ غير جملة ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾، ولا تكون تفسيراً لها إنّما تقع في موقع مساوٍ لها؛ وبذلك يتألف توازٍ تركيبي بين الجمل الثلاث، اعتمد الأساس النحوي:

فعل مضارع + ون + كم + مفعول به + مضاف إليه

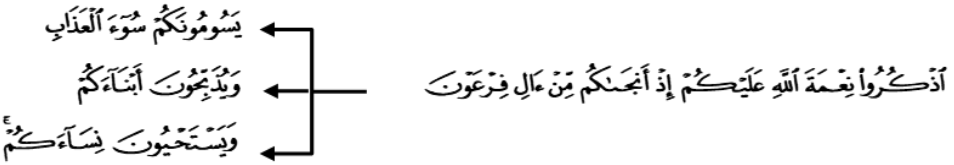

وبذلك وقعت الجمل الثلاث في مواقع متقابلة في علاقتها بجملة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، وأخرى متوازنة لأدائها الوظيفة النحوية نفسها؛ وبذلك يكون لدينا أنواع متنوعة من العذاب مما كان يذيق آل فرعون بني إسرائيل فإلى جانب ذبح الأولاد واستحياء النساء كان يذيقهم سوء العذاب (لباب التأويل في معاني التنزيل: 88/1). وبذلك اختلف الكلامان، ويرى الرازي أنّ هذين الكلامين لا يتعارضان (مفاتيح الغيب: 64/3 ـ 65)، إذ إنّهما يمثلان اتساعاً في المعنى فضلا عن ذلك أنّ كلّ موضع من المواضع له خصوصية، ففي سورة البقرة كان الكلام موجها من الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل فلم يعدد عليهم المحن تكرما في الخطاب، أمّا في سورة إبراهيم فالكلام كان موجها من موسى (ع) إلى بني إسرائيل فعدد لهم المحن (الإتقان في علوم القرآن: 225/2).

وفي استعمال (يقتلون) في سورة الأعراف بدلا من (يُذَبِّحُونَ) تنويع في الألفاظ (الإتقان في علوم القرآن: 225/2)، فاصل الذبح شق حلق الحيوان، فذكر باعتبار صورة القتل، أمّا القتل فأصله إزالة الروح، ويذكر باعتبار فعل المتولي له (عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ:38/2، و271/3). والكلام الذي قلناه عن سورتي البقرة وإبراهيم من موازنة ينطبق على سورة الأعراف وفي ذلك يقول الرازي: «ذكر في هذه السورة ( ) بلا (واو) وفي

سورة إبراهيم ذكره مع (الواو)، والوجه فيه أنّه إذا جعل قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ مُفسّراً بقوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ لم يحتج إلى (الواو)، وأمّا إذا جعل قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ مفسراً بسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيئاً آخر سوى سوء العذاب، فاحتيج فيه إلى (الواو)، وفي الموضعين يحتمل الوجهين، إلاّ أنّ الفائدة التي يجوز أن تكون هي المقصودة من ذكر حرف العطف في سورة إبراهيم أن يقال: إنّه تعالى قال قبل تلك الآية: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)﴾ (إبراهيم 5) والتذكير بأيام الله لا يحصل إلاّ بتعديد نعم الله تعالى، فوجب أن يكون المراد من قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ﴾ نوعاً من العذاب، والمراد من قوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ نوعاً آخر ليكون التخلص منهما نوعين من النعمة. فلهذا وجب ذكر العطف هناك، وأمّا في هذه الآية لم يرد الأمر إلاّ بتذكير جنس النعمة وهي قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (سورة البقرة: 40، 47، 122) فسواء كان المراد من سوء العذاب هو الذبح أو غيره كان تذكير جنس النعمة حاصلاً فظهر الفرق» (مفاتيح الغيب: 64/3 ـ 65)؛ من هنا كان الفصل بين الآيات لا يعني عدم وجود جامع معنوي، فينظر إلى الفصل على أنّه يكشف عن المناسبة والارتباط المعنوي بين الآيات (الفصل والوصل في القرآن الكريم، سورتي النبأ وعبس انموذجاً/154)؛ وبذلك ولدت ظاهرة الفصل والوصل بعداً دلالياً امتد على طوال السور، وشكّل بذلك وحدة نصية قائمة على اقتضاء المعنى لها، وكان السبيل في ذلك

الإشراك والجمع الذي يقع بين الآيات إن لم يكن في مستواه الشكلي، فعلى المستوى المعنوي أشد اقتضاءً لهذه الظاهرة.

ب- الضمائر:

تمثل الضمائر وسائل نصية للاتساق وتكمن أهميتها كما تناولناها سابقا بوصفها عناصر إحالية تسهم في ترابط النص واتساقه، كما أنّها تسهم في تقريب المسافات بين الجملة أو الجمل وذلك عبر ايجاد روابط بين أجزاء الجملة الواحدة أو بين الجمل، فيعمل الضمير على إنشاء شبكة تكتنف الجمل يكون نسيجها مرجعية الضمير ودلالته؛ وبذا تسهم الضمائر بالوصل بين الجملة والجمل لما فيها من طبيعة حضورية - على بنية النص السطحية التي تتمثل بالملفوظ - وأخرى مرجعية - في افتقاره إلى مرجع، ذلك أنّ الضمير كناية عن اسم في أغلب الأحيان يكون هذا الاسم سابقاً - ولم يقف دور الضمير على الإحالة كما تناولناه في باب الإحالة إنّما تعداه إلى باب آخر إلاّ وهو باب الفصل، فجاء الضمير هنا للفصل بين المبتدأ وخبره، وإذا كان دوره الربط والوصل في باب الإحالة فإنّ دوره في هذا الباب يحمل الفصل، إلا أنّنا نرى أنّه فصل على المستوى الشكلي فقط، أمّا في بنيته العميقة فمثل الضمير رابطا معنويا، إذ إنّه يمنع المتلقي من التوهم أنّ الاسم الواقع بعده نعت، ويتحول الاسم بذلك من الفضلة إلى العمدة؛ ربما كانت وظيفته هذه سببا في أن يطلق عليه الكوفيون اسم (ضمير العماد)، أمّا البصريون فنظروا إليه من وجهة وظيفته الشكلية وهي الفصل؛ لذا أطلقوا عليه اسم (ضمير الفصل)، فجاء ليفصل بين المبتدأ وخبره على المستوى الشكلي للنص (الداني في حروف المعاني/350 ـ 351)، فضلاً عن ذلك فإنّ الاختلاف بين النحويين وقع في الموقع الاعرابي لهذا النوع من

الضمائر، فذهب الكوفيون إلى أنّ له موضعا من الاعراب، واحتجوا على ذلك بأن قالوا إنّما قلنا: إن حكمه حكم ما قبله؛ لأنّه توكيد لما قبله، فتنزل منزلة النفس إذا كان توكيدا، وكما أنّك إذا قلت: (جاءني زيد نفسه) كان نفسه تابعا لـ(زيد) في إعرابه، فكذلك العماد إذا قلت: (زيد هو العاقل) يجب أن يكون تابعا في إعرابه، وذهب فريق إلى أنّ حكمه حكم ما بعده؛ لأنّه مع ما بعده كالشيء الواحد فوجب أن يكون حكمه بمثل حكمه.

أمّا البصريون فيرون أنّه لا موضع له من الاعراب واحتجوا على ذلك بأن قالوا: إنّه لا موضع له من الإعراب؛ لأنّه إنّما دخل لمعنى، وهو الفصل بين النعت والخبر؛ ولهذا سمى فصلا كما تدخل (الكاف) للخطاب في (ذلك) و(تلك) وتثنى وتجمع، ولا حظ لها في الإعراب كم أنّ (ما) التي للتوكيد لا حظ لها في الإعراب فكذلك ضمير الفصل هاهنا (الانصاف في مسائل الخلاف: 222/2).

يتوسط ضمير الفصل المرفوع بين المبتدأ وخبره قبل دخول العوامل اللفظية وبعده إذا كان الخبر معرفة أو مضارعا له في امتناع دخول حرف التعريف عليه كـ(افعل من كذا) ليؤذن من أول أمره ان ما بعده خبر لا نعت، وليفيد ضربا من التوكيد، ومثال ذلك: (زيد هو المنطلق)، و(زيد هو أفضل من عمرو). ويدخل عليه لام الابتداء، ومثال ذلك: ﴿فَلَمَّا جَاءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرعَونَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجرًا إِن كُنَّا نَحنُ ٱلغَٰلِبِينَ (41)﴾، (الشعراء 41)، ويطابق المبتدأ في الأفراد وفرعيه، والتذكير وفرعه، والغيبة والتكلم والخطاب، وكثير من العرب يجعلونه مبتدأ وما بعده مبنيا عليه (شرح الرضي على الكافية: 88/2). ومن هنا يسهم ضمير الفصل في أمن التباس الخبر بالصفة؛ لأنّ الضمير لا يوصف، فضلا عن ذلك أنّه يسهم في التوكيد والحصر، فإذا كان

الخبر الذي بعد الفصل معرفا باللام أفاد الحصر المفيد للتأكيد فناسب ذلك تأكيد المبتدأ بالفصل، فالمبتدأ المخبر عنه بذي اللام التي للجنس مقصور على الخبر، فقول السحرة (الغالبون) أفاد الحصر والتوكيد أي لا غالب إلا هم، أو كلّ الغلبة لهم.

و«إن لم يكن في المبتدأ لام الجنس فالخبر المعرف باللام مقصور على المبتدأ، سواء كانت اللام في الخبر للجنس نحو: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (129)﴾ (البقرة 129) أي: لا عزيز إلا أنت، فهو للمبالغة كقولك: أنت الرجل كل الرجل، أو للعهد، نحو: أنت الكريم، أي: أنت ذلك الكريم، لا غيرك، وسواء كان اللام موصولا، نحو: أنت القائم، أو زائدا داخلا في الموصول نحو: أنت الذي قال كذا» (شرح الرضي على الكافية: 89/2).

ومع ما يشير إليه هذا النوع من الضمائر من انفصال على مستوى البنية الشكلية، إلاّ أنّها تمثل رابطا مهما في النص على مستوى بنيته العميقة، وهذا ما أكده الفارابي الذي يرى أنّ في سائر الألسنة لفظة يستعملونها في الدلالة على الأشياء كلّها، لا يخصّون بها شيئا دون شيء. ويستعملونها في الدلالة على ربط الخبر بالمخبَر عنه، وهو الذي يربط المحمول بالموضوع متى كان المحمول اسما أو أرادوا أن يكون المحمول مرتبطاً بالموضوع ارتباطاً بالإطلاق من غير ذكر زمان. وإذا أرادوا أن يجعلوه مرتبطا في زمان محصَّل ماض أو مستقبل استعملوا الكَلِم الوجوديّة، وهي كان أو يكون أو سيكون أو الآن. وإذا أرادوا أن يجعلوه مرتبطا به من غير تصريح بزمان أصلا نطقوا بتلك اللفظة وهذه اللفظة تُستعمَل في مكانين. ورأى أنّ بعضهم استعمل لفظة (هو) كناية في مثل قولهم (هو يفعل) و(هو فَعَلَ). وربّما استعملوا (هو)

في العربيّة في بعض الأمكنة مثل قولنا: (هذا هو زيد)، فإنّ لفظة (هو) بعيد جدّا أن يكونوا قد استعملوها هاهنا كناية. كذلك (هذا هو ذاك الذي رأيتُه) و(هذا هو المتكلّم يوم كذا وكذا) و(هذا هو الشاعر)، وكذلك (زيد هو عادل) وأشباه ذلك فاستعملوها في الدلالة على الأشياء كلّها وفي أن يُربَط الاسم المحمول بالموضوع حيث يُقصَد أن لا يُذكَر في القضيّة زمان (كتاب الحروف/111 - 112). فانطلق الفارابي من القيمة الموقعية لضمير الفصل في معنى آخر، هو الربط بين ركني الجملة الاسمية إذا أريد أن يكون الخبر مرتبطا بالمبتدأ ارتباطا مطلقا من غير تصريح بذكر زمان؛ لذا يؤتى بالضمير (هو) فيقال: هذا هو المتكلم، والظاهر من هذا المثال أنّ الضمير فيه إنما جاء للفصل لتأكيد معنى الخبر بعده، وسماه الفارابي بالرابط؛ لأنّه يربط المحمول (الخبر) بالموضوع (المبتدأ) متى كان المحمول اسماً. ولعّل ما يرجح هذا القول أنّ الكوفيين اشترطوا في الجملة الاسمية ذات الخبر المفرد أن تشتمل على ضمير في الخبر، سواء أكان الخبر مشتقا أم جامدا، ومن ذلك: (زيد شجاع)، في الخبر ضمير؛ لأنّه صفة مشبهة، وكذلك في: (زيد أسد) ضمير؛ لأنّه مؤول بمشتق، أي شجاع. فإذا قلت: (زيد أخوك)، فمعناه: (زيد قريبك). ونخلص من هذا كله إلى أنّ الجملة في العربية على نوعين:

- نوع يقصد فيه إلى ذكر الزمان، وهذا ما تمثله الجملة الفعلية أو الجمل ذوات الأدوات الدالة على الزمان.

- نوع لا يقصد فيه إلى ذكر الزمان، وإنّما يراد منه ربط الخبر بالمبتدأ، وتمثله الجمل الاسمية التي يكون الخبر فيها اسما، وفي هذه الحالة قد يُؤتى بالضمير (هو) لإبراز معنى الربط. وهذا يقودنا إلى القول انّ في كلّ جملة لغوية الأصل ثلاثة عناصر أو وحدات، لها وجود ظاهر أو خفي، فجملة

(زيد عالم) تتألف من وحدتين لفظيتين، هما المبتدأ والخبر، وتربط بينهما وحدة اعتبارية أو علامة صفرية، يمكن التصريح بها إذا أُريد ربط الخبر بالمبتدأ ربطا مطلقا من غير قصد إلى الزمان، فيقال: (زيد هو عالم)، فإذا أُريد الزمان قيل: (كان زيد عالما)، و(ليس زيد عالما) بإدخال عنصر الزمن، وهو (كان) للماضي، و(ليس) للحاضر، وهما يمثلان العنصر الثالث في الجملة. فكان الضمير رابطا بين الجملتين، بمعنى انّه يربط المبتدأ بالخبر، ويقوي الاتساق بينهما، فضلا عن وظيفته في الفصل بين الجملتين على مستوى سطح النص، مع إفادته التوكيد (ضمير الفصل، قيمه الموقعية وأثاره التركيبية في الجملة الاسمية الأصلية والمنسوخة/50 ـ 51). إذ إنّ ضمير الفصل له فوائد ثلاث، وهي:

- الإعلام أن ما بعده خبر لا تابع
- التأكيد؛ لذا أطلق عليه الكوفيون (دعامة)؛ لأنّه يدعم به الكلام، أي يقوى ويؤكد.
- الاختصاص.

فقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ (البقرة 5)، جاءت فائدة الضمير (هم) للدلالة على أنّ ما بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أنّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره (معترك الأقران:467/3).

فجاء استعمال ضمير الفصل ليحقق الاتساق والانسجام ففي قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٢ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ

أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (43) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (48) ﴾ (الشعراء 38-48)

فاستعمل ضمير الفصل ثلاث مرات (إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) و(إِن كُنَّا نَحنُ الْغَالِبِينَ) و(إِنَّا لَنَحنُ الْغَالِبُونَ)، وحمل في طياته أكثر من وجه، إذ جاء ليفصل الخبر عن المبتدأ حتّى لا يقع الوهم أن (الْغَالِبِينَ) صفة لا خبر، وعمل بذلك على تأكيد أن (الْغَالِبِينَ) خبر؛ وذلك لأنّ الضمير لا يوصف فعُلم أنّ ما بعده خبر، فضلاً عن ذلك أسهم الضمير في تأكيد محتوى الجملة وحصرها، فحصر الضمير الخبر على المبتدأ أي (لا غالب إلا نحن)؛ وبذلك تحقق المعنى المقصود من النص فقوم فرعون كانوا متأكدين - في ظنّهم - من أن الغلبة للسحرة، كما كان السحرة كذلك؛ لذا عمد الخطاب إلى تأكيد ما في ظنهم عبر البنية الشكلية للنص، فأسهم الضمير في ترابط النص فضلاً عن انسجامه مع السياق العام للحدث، فعرضت السورة موقف السحرة وقوم فرعون على أنّهم أقوى - في ظنّهم - ولا غالب لهم؛ لذا كان خطابهم المتعالي مع موسى (ع) قد ورد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) ﴾ (الشعراء 54)، فكان في ظنّهم أنّ الغلبة لهم؛ وذلك لأنّهم كثرة، وقد عبّرت عن ذلك السورة باستعمال (فجُمع، مجتمعون)، فضلاً عن استعمال ضمير المتكلم الدال على الجماعة ﴿ إِن كُنَّا نَحنُ الْغَالِبِينَ ﴾ و﴿ إِنَّا لَنَحنُ الْغَالِبُونَ ﴾؛ لذا جاء استعمال (لعّل) في هذا الموضع من النص ضمن خطاب الناس ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ فدلّت (لعّل) على قرب حصول المرجو، وكان

في ظنهم أنّ الغلبة للسحرة، فجاءت السياقات معبّرة عن نصر السحرة، وذلك قبل أن يتبدل الموقف ويكون خلاف ذلك إذ ألقى موسى (ع) عصاه، فكانت له الغلبة، ومن الملاحظ غياب لفظة (الغلبة) عن خطاب موسى (ع)، فلم يقل: (إنّي أنا الغالب)، أو من قبيل هذا، إنّما اكتفى بإلقاء العصا، فكان فعله أدلّ وأقوى من مضمون الجمل الثلاث: (إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ) و(إِن كُنَّا نَحنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ) و(إِنَّا لَنَحنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ)، فجاء تكرار هذه الجمل لتأكيد أنّ الغلبة للسحرة، وأُستُعملَ فيها أنواع عدة من المؤكدات وكان الملمح العام لها هو استعمال ضمير الفصل - (هم، نحن) - فكأنّما كان كلامهم يعمد إلى استعمال (ٱلۡغَٰلِبِينَ) عمدة في الكلام، أي إنّه خبر لا صفة، فهو كان جل همهم ومطلبهم الأول؛ لذا نرى أنّ الخطاب عبّر عن هذا المطلب باستعمالهم الضمير الذي انتقل بنا من أول الجملة إلى الخبر مباشرة عبر تأكيده. فكانت البنية العميقة للنص قائمة على تقديم الغلبة، والتقدير: (لا غالب إلاّ نحن)؛ لذا استحوذ استعمال الضمير على البنيتين العميقة والسطحية، وولّد بنية أحاطت بـ(نحن) الضمير المعبّر عن السحرة، ولم تمهل موسى (ع) لدخولها أو كسرها إلاّ عبر وقع الغلبة الفعلية له وانتصاره عليهم، فما لبثوا أن أدركوا حقيقة أمرهم؛ لذا جاء إيمانهم راسخاً لم يزعزعه بطش فرعون.

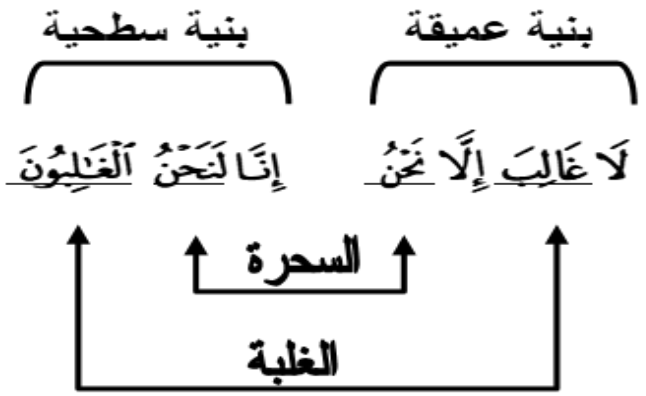

فضلاً عن ذلك شكّل بناء النص بنية تقابلية مع البنية العميقة قائمة على شبه الترادف

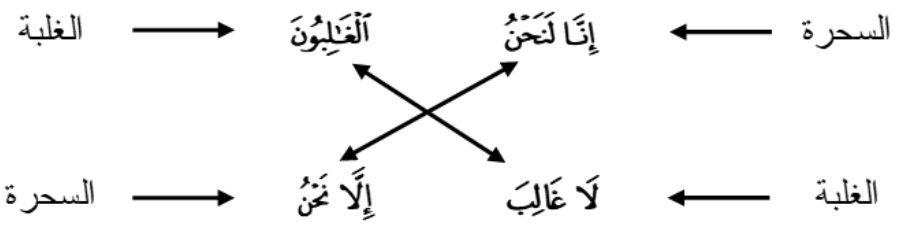

جـ- الجمل المعترضة:

ذكر النحاة والبلاغيون هذا النوع من الفصل وكان بينهم تقارب كبير في فهمهم له (الجمل التي لا محل لها من الاعراب في القرآن الكريم/105)، فالمراد بالفصل والاعتراض: «وجود صيغة أو أكثر بين جزئي التركيب اللغوي أو أجزائه التي تواليها وتعاقبها دون فاصل بينها» (أصول التفكير النحوي/338)، إلاّ أنّه يمكن التمييز بينهما فـ«الفصل يكون بتقديم جزء من أجزاء الجملة فيفصل بين تركيبها المألوف لغرض بلاغي، ويكون لهذا الفاصل محل من الإعراب بوصفه لبنة لا غنى عنها في تركيب الجملة الأصلية، أمّا الاعتراض فيكون بجملة مستقلة غير مرتبطة بعلاقة محل

اعرابية مع الجملة الأصلية، بل تكون لا محل لها من الإعراب» (الجمل التي لا محل لها من الإعراب في القرآن الكريم /107)، غير أنّنا سنتبنى الترادف بينهما ذلك لما يؤديانه في النهاية من معان تسهم في إثراء دلالة النص وأثرهما الواضح في الانسجام النصي؛ لذا يمكن النظر إلى الاعتراض والفصل على أنّهما «ما يتوسط بين أجزاء الكلام، متعلقا به معنى» (شرح الرضي على الكافية: 98/4)، أو تبني رؤية الزركشي للفصل التي جاءت في قوله: «وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه ولا يفوت بفواته فيكون فاصلا بين الكلام والكلامين لنكتة. وقيل: هو إرادة وصف شيئين الأول منهما قصداً والثاني بطريق الانجرار وله تعليق بالأول بضرب من التأكيد» (البرهان في علوم القرآن:41/1)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ(135)﴾ (آل عمران 135)، فجملة (وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ) معترضة بين جملتي: (فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ) و(وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ)، وللجملة الاعتراضية خصائص، إذ إنّها تشكل «نمطاً خاصا من انماط الجملة العربية المستقلة التي لا تقبل التأويل بالمفرد. وقد تنبه علماء العربية على مجموعة خصائص امتازت بها هذه الجملة من غيرها، بما يمنحها كيانها الخاص في بنية النص. ولعل أول هذه الخصائص أنّ الجملة المعترضة لا تقع في بداية الكلام أو نهايته، بل لا بد أن تكتنفها جملة أكبر، من دون أن ترتبط الجملتان بعلاقة عمل، فالارتباط المعنوي بينهما لا يستلزم ارتباطا في العمل» (الجمل التي لا محل لها من الاعراب في القرآن الكريم /109). وللاعتراض أسباب عدة منها:

- **تقرير الكلام، ومنه قوله تعالى:** ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ(73)﴾ **(يوسف 73) فجملة: (لَقَد عَلِمتُم) اعتراض، والمراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة.**

- **قصد التنزيه كقوله تعالى:** ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ (57)﴾ **(النحل 57)، فاعترضت لفظة (سُبحَٰنَهُۥ) لغرض التنزيه والتعظيم وفيه الشناعة على من جعل البنات لله.**

قصد التبرك وكقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا (27)﴾ **(الفتح 27) فجملة: (إِن شَآءَ ٱللَّهُ).**

قصد التأكيد كقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (75) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ (76)﴾ **(الواقعة 75-76) ففي هذه الآيات اعتراضان فإنّه اعترض بقوله: (وَإِنَّهُۥ لَقَسَم) بين القسم وجوابه واعترض بقوله: (لَّو تَعلَمُونَ) بين الصفة والموصوف والمراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم وتأكيد إجلاله في النفوس ولاسيما بقوله: (لَّو تَعلَمُونَ).**

كون الثاني بيانا للأول كقوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ(222)﴾ **(البقرة 222)، فجملة: إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلمُتَطَهِّرِينَ) معترضة (البرهان في علوم القرآن:67/1)**

وقعت بين قوله: (فَأْتُوهُنَّ) وبين قوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة 223)، وهما متصلان معنى؛ لأنّ الثاني بيان للأول كأنه قيل: (فأتوهن من حيث يحصل منه الحرث)، وفيه اعتراض بأكثر من جملة.

تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد على أمر علق بهما كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(14)﴾ (لقمان 14)، فاعترض بقوله: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) بين (وَوَصَّيْنَا) وبين الموصي به، وفائدة ذلك تذكير الولد بما كابدته أمه من المشقة في حمله وفصاله، فذكر الحمل والفصال يفيد زيادة التوصية بالأم لتحملها من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد.

- زيادة الرد على الخصم كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(73)﴾ (البقرة 72، 73)، فقوله: (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ) اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وفائدته أن يقرر في أنفس المخاطبين أنّ تدارُؤ بني إسرائيل في قتل تلك الأنفس لم يكن نافعاً لهم في إخفائه وكتمانه؛ لأنّ الله تعالى مظهر ذلك، ومخرجه ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض لكان: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾.

- **الإدلاء بالحجة كقوله تعالى** ﴿وَمَا أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ (43) بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ (44)﴾ **(النحل 43-44)، فوقع الاعتراض بقوله: (فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ) بين قوله: (نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ) نوحي إليهم وبين قوله: (بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ) (البرهان في علوم القرآن:63/1)**

ففي قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (75) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ (77)﴾ **(الواقعة 75-77)، وقعت الجملة: ( ) اعتراضاً بين القسم (فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ) وجوابه (إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ)، كما وقع في الجملة الاعتراضية: (وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ) جملة اعتراضية ضمنية، فوقعت (لو تعلمون) اعتراضا بين الصفة (عظيم) والموصوف (لقسم) وتقدير الكلام: (وإنه لقسم عظيم) فوقع في هذا النص جملتان معترضتان الأولى بين القسم وجوابه، والثانية بين الصفة والموصوف، وجاءت الجملتان الاعتراضيتان للتأكيد؛ إذ استعملتا في جملة القسم وجوابه والقسم يدل على التأكيد أيضا (البحر المحيط: 213/8)، فجاءت هذه الجمل محافظةً على نسق التوليد الذي بدأ بالقسم ثم باستعمال (إن + اللام) الذي وقع في جملة الاعتراض وجواب القسم فشكّلا بذلك توازيا تركيبيا قام على أساس نحوي:**

إنّه + لا القسم + خبر + صفة

وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ... لَّوۡ تَعۡلَمُونَ... عَظِيمٌ

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ ..... كَرِيمٌ

فتماثلت بذلك الجملتان تركيبياً، مما أدى إلى أن تكون جملة الاعتراض (وَإِنَّهُۥ لَقَسَم لَّو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ) تأكيدا لمحتوى جواب القسم، وربّما دفع هذا الأمر ابن عطية إلى النظر بمنظور آخر عدّ فيه جملة (وَإِنَّهُۥ لَقَسَم لَّو عَظِيمٌ) تأكيداً للأمر وتنبيها على المقسم به وليس اعتراضاً بين الكلامين، ويرى أنّ الاعتراض وقع في جملة واحدة هي (لَّو تَعلَمُونَ)، فكان لاعتراض عنده بجملة واحدة وليس بجملتين، وربّما كان السبب وراء رفضه أن تكون جملة (وَإِنَّهُۥ لَقَسَم عَظِيمٌ) اعتراضية لشدة اتصالها بالكلام وتماسكها معه (المحرر الوجيز /140). فأسهمت بذلك جملة الاعتراض في تحقيق الانسجام دلاليا فضلا عن إثرائها النص دلالة عبر إضافة معانٍ أخرى إلى هذا القسم، وذلك تأكيد وصفه بأنّه قسم عظيم، فضلاً عن اسهامها في تماسك النص واتساقه، الذي بدوره انعكس على انسجامه.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة لا يسعنا إلاّ أن ننهي بحثنا هذا بجملة من النتائج التي توصلنا إليها في أثناء مسيرتنا وتأملنا في آيات القرآن الكريم وسوره وأهمها:

– عدّ الاتساق مؤشراً مهماً من مؤشرات الانسجام في النص القرآني ذلك لأنّه يشير إلى الترابط الظاهر على سطح النص والمتمثل في نسيجه التركيبي.

– تجاوز الضمير في النص القرآني وغيره دوره في الاختصار أو كونه كناية عن الاسم إلى روابط نصية تسهم في اتساق النص سواء أكانت احالته داخل النص أم خارجه وبأنواعه كلها كما أنّه قد يسهم في الوصل والفصل؛ وذلك خدمة للمعنى واتساقه.

– مثلت ظاهرة الفصل والوصل بعدا نحويا وبلاغيا ونصيا في آن واحد فالفصل والوصل يعملان في البنيتين السطحية والعميقة للنص، ويتشكل تماسكه من خلالهما فضلا عن ذلك ارتبط الفصل والوصل بالأداء والمعنى التداولي لما فيهما من إعانة على تحديد المعنى المطلوب من النص ومن ثم انسجامه.

– يعدّ التماسك وسيلة مهمة من وسائل فهم النص القرآني وتأويله من خلال التمثل الدلالي للنص وهي في اغلبها علاقات ضمنية وهو يرتبط بالبنية الكلية للنص وموضوعه الأساس.

– يؤلف النص القرآني نظاما يحافظ على انتظامه؛ وذلك من خلال انتظام عناصره، إذ يوجد ارتباط بين مختلف عناصره من جهة وسياق استعماله من جهة أخرى، فلكل عنصر دلالة تمنحه قيمة بوصفه وسيلة من وسائل التوصل إلى عدد من دلالات العناصر الأخرى. ويتأتى هذا الترابط والتماسك من خلال التضام الذي يتضح من خلاله الاتصال الوثيق بين العناصر على مستوى البنى السطحية والعميقة للنص، فضلا عن ذلك يتمثل في الجانب الدلالي والتداولي، وهو من مؤشرات الانسجام النصي في القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

- الاتساق الدلالي في قصص القرآن الكريم، لقمان مصطفى سعيد، أطروحة دكتوراه، باشراف: د.هاني صبري علي، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، اربيل، 1245هـ ـ 2004م

- الاتساق النصي، دراسة تطبيقية، عبد الجليل غزالةhttp://www.arabe.physigue48.org

- الاتساق والانسجامhttp://www.lissaniat.net/viewtopic.php.

- الإتقان في علوم القرآن، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1428هـ ـ 2007م

- أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1422هـ ـ 2001م

- أصول التفكير النحوي، د.علي ابو المكارم، مطابع دار القلم، بيروت ـ لبنان، 1393هـ ـ 1973م.

- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ بيروت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، دار الارشاد للشؤون الجامعية، حمص ـ سوريا، ط10، 1430هـ ـ 2009م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، الإمام كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن ابي سعيد،

الانباري، النحوي (ت577هـ)، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت).

- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي (ت745هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل احمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: د.زكريا عبدالمجيد النوتي، ود.احمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، ببيروت - لبنان، ط2، 1428هـ ـ 2007م.

- البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين أبو عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي (ت794هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1428هـ ـ 2007م.

- بلاغة النص، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د.جميل عبدالمجيد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، 1999م.

- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، حققه وقدم له: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت ـ لبنان، (د.ط)، 1968م.

- التعبير القرآني والدلالة النفسية، د.عبدالله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات الاسلامية، دمشق ـ سوريا، ط2، 1427هـ ـ 2007م.

- الجدول في إعراب القرآن وبيانه مع فوائد نحوية هامة، محمود صافي، دار الرشيد، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الايمان، بيروت ـ لبنان، ط4، 1418هـ ـ 1998م.

- الجمل التي لا محل لها من الاعراب في القرآن الكريم، د.طلال يحيى ابراهيم الطوبجي، دار دجلة، عمان ـ الأردن، (د.ط)، 2007م.

- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي

(ت749هـ)، تحقيق: د.فخر الدين قباوة، والاستاذ محمد نديم فاضل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1413هـ - 1992م.

- دلائل الاعجاز، الامام عبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ)، شرح وتعليق: د.محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ - 2004م.

- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس - ليبيا،1398هـ - 1978م.

- ضمير الفصل، قيمه الموقعية وأثاره التركيبية في الجملة الاسمية الأصلية والمنسوخة، مصطفى النحاس، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، ع12، مج3، 1981م.

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، الامام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ - 1995م.

- عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ، شهاب الدين احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت756هـ)، دراسة وتحقيق صالح مهدي عباس، العراق.

- الفرق ين الاتساق والانسجام www.difi.montadarabi.com .

- الفصل والوصل في القرآن الكريم، سورتي النبأ وعبس انموذجاً، م.د.عبدالقادر عبدالله فتحي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، الموصل، مج 8، ع4، 1430هـ - 2009م.

- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ)، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط1، (د.ت).

- القرائن العلاقية وأثرها في الاتساق، (سورة الأنعام أنموذجاً)، دراسة وصفية احصائية تحليلية، سليمان بوراس، رسالة ماجستير، باشراف د.فرحات عيّاش، كلية الآداب، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2008 ـ 2009م.

- كتاب الحروف، ابو نصر الفارابي، حققه وقدم له وعلق عليه: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان ـ 1986م.

- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت725هـ)، ضبطه وصححه: عبدالسلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1425هـ ـ 2004م.

- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي المصري (ت711هـ)، حققه وعلق عليه ووضع حواشية: عامر احمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل ابراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1426هـ ـ 2005م.

- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، (د.ط)، 1988م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت541هـ)، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط1، 1423هـ ـ 2002م.

- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله الفراء (ت207هـ)،

قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: ابراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1423هـ ـ 2002م.

- معترك الأقران في اعجاز القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن ابو بكر السيوطي، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1408هـ ـ 1988م.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ)، حققه وضع - حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط2، 1429هـ ـ 2008م.

- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت606هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط3، 1421هـ ـ 2009م.

- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد ـ العراق، ط1، 1400هـ ـ 1981م.

- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، راجعه وقدم له: وائل احمد عبدالرحمن، المكتبة التوفيقية، القاهرة ـ مصر، (د.ط)، 2003م.

- مقاربة نحو النص في تحليل النصوص قراءة في وسائل السبك النصي، أ.ياسين سرايعة، مجلة علوم إنسانية، السنة 5، ع 35، 2007م www.ulum.nl.com

-نظرات في مصطلحات اللسانيات، د.اسامة عبدالعزيز جاب الله
http://www.alfaseeh.com